جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قســم الآداب واللغة العربية

محاضــرات في مقيــاس النقد الأدبــي القديم

لطلبــة السنــة الأولى ليسانس (ل م د)

المحاضرة الأولى بعنوان: قضية عمود الشعـر

إعداد الدكتورة: سامية راجح

السنة الجامعية: 2023-2024

تعريف عمود الشعر لغة واصطلاحا:

أ- لغة: عمود البيت وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء والجمع أعمدة وعمد. وعمود الأمر: قوامه الذي لا يستقيم إلا به والعميد السيد المعتمد عليه في الأمور أو المعمود إليه.

ب-اصطلاحا: هو طريقة العرب في نظم الشعر لا ما أحدثه المولدون والمتأخرون أو هي القواعد الكلاسيكية: للشعر العربي التي يجب على الشاعر أن يأخذ بها، فيحكم له أو عليه بمقتضاها.

- يلاحظ في المعنى المعجمي أنه لم يذكر ارتباط كلمة العمود بالشعر كما هو الأمر في المعنى الاصطلاحي إلا أن هذا لا ينفي أن يكون المعنى الاصطلاحي مستوحى من المعنى اللغوي، فكما أن خشبة بيت الشعر هي الأساس الذي يقوم عليه ذلك البيت، فان أصول الشعر العربي وعناصره التي يشير إليها المعنى الاصطلاحي تعد أيضا بمثابة الدعامة والركيزة الأساسية التي يقوم نظم الشعر الجيد الصحيح إلا عليها[1].

[1] المصطلح النقدي والبلاغة عند الآمدي في كتابة الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لنوح أحمد عبكل، دار الحامد، ط1، 2011م، عمان، الأردن، ص93.

1. النشأة:

إن أقدم استخدام لعبارة (عمود الشعر) ورد في كتاب "الموازنة" بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الامدي (370م-981م) فقد استخدم الأمدي هذا التعبير ثلاث مرات في كتابه، لم يعوزه إلى احد في إحداها وعزاه مرة إلى البحتري، وأخرى إلى من سماه صاحب البحتري.

قال مرة في المهملة "وإن كان كثير من الناس قد جعلها طبقة... وإنهما لمختلفان، لان البحتري أعرابي .... وما فارق عمود الشعر".

وفي الثانية "والذي أرويه عن أبي علي بن العلاء السجستاني... وكان صديق البحتري أنه قال سئل البحتري عن نفسه وعن أبي تمام فقال "كان أغوص على المعاني مني. وأنا أقوم بعمود الشعر منه".

وقال في الثالثة "قال صاحب البحتري: حصل للبحتري أنه ما فارق عمود الشعر...".

إذن عبارة عمود الشعر بعد هذا عرفت وشاعت في القرن الرابع، وسجلت للمرة الأولى في الموازنة[1]

2. عمود الشعر عند النقاد:

أ. عند الجرجاني:

ذكر عبارة (عمود الشعر) في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" ولم يضع عنوانا بارزا له في كتابه، ولم يحدد عناصره بالتفصيل تحديدا صريحا.

[1] أحمد بزيو، عمود الشعر النشأة والتطور، جامعة باتنة، مجلة الأثر، ع21، 2014، ص32.

وقد ورد ذكره في مجموعة من الأسطر في كتابه مرة واحدة، إذ قال فيها: "كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فاغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، و شوارد أبياته ..." [1].

وقد خرج الدارسون من هذا النص بستة عناصر يعدها القاضي الجرجاني عناصر عمود الشعر وهي كالآتي:

- شرف المعنى وصحته.
- جزالة اللفظ واستقامته.
- إصابة الوصف.
- المقاربة في التشبيه.
- الغزارة في البديهة.
- كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة.

ومن يتأمل عمود الشعر عند الجرجاني يرى أن خصاله الأربعة الأولى هي خصال "بلاغية فنية" أما الخصلتان الأخيرتان فتتصلان (بالدراية والرواية).

التي تنم عنهما الغزارة في البديهة وكثرة الأمثال والأبيات الشاردة.

ويمكن القول أن الجرجاني قد أخذ من شعر المتنبي "أنموذج " لإقامة عمود الشعر عليه كما فعل الأمدي مع شعر البحتري.

[1] ينظر: طاهرة داخل طاهر، عمود الشعر من رؤية نقدية معاصرة،الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية الأساسية ع46، 2006 ، ص119.

الجرجاني إذن رحب بالمعاني الحضارية ولم ينغلق على المعاني البدوية (معاني الأوائل) فصار عمود الشعر عنده أفسح مجالا، ويضم الشعر القديم والمحدث معا وقد أتته ذلك من إعجابه بالمتنبي فاتخذ من شعره مقياسا لعمود الشعر عنده[1].

ب- عبد المرزوقي:

يقول: «إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الثلاثة سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات.

ومقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه السبعة أبواب هي عمود الشعر ولكل باب معيار».

وقد عاد المرزوقي في تحديده لأبواب عمود الشعر عودة مباشرة إلى تلك العناصر الستة التي ذكرها الجرجاني من قبل في الوساطة فاعتمد على أربع منها وهي:

- شرف المعنى وصحته.
- جزالة اللفظ واستقامته.
- الإصابة في الوصف.
- المقارنة في التشبيه.

واستغنى عن العنصرين الأخيرين الذين كانا عند الجرجاني (سوائر الأمثال وشوارد الأبيات والغزارة في البديهة) فجعل الأول منهما مؤلفا من اجتماع العناصر الثلاثة الأولى واستغنى عن الثاني ولم يعد من عناصر عمود الشعر.

[1] المرجع نفسه، ص 120.

وأضاف من عنده ثلاثة عناصر أخرى:

- مناسبة المستعار منه والمستعار له.
- التحام أجزاء النظم والتئامها على تخيير من لذيذ الوزن.
- مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما.

وبذلك أصبحت عناصر عمود الشعر عنده سبعة[1].

ويقول المرزوقي: "فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها، فهو عنده المفلق المعظم والمحسن المقدم، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان وهذا الإجماع مأخوذ به ومتتبع منهجه حتى الآن"[2].

ج- عند ابن قتيبة:

قال أبو محمد تدبرت الشعر فوجدته أربعة اضرب:

- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.
- ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.
- ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه.
- ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه.

3. خصائص عمود الشعر:

- الوحدة الموضوعية، ويقصد بالوحدة الموضوعية أن تكون موضوعات القصيدة مترابطة مع بعضها بعضا حتى مع وجود تنوع في الموضوعات التي يتحدث عنها

---

[1] ينظر: عبد الوهاب جميلة، نظرية عمود الشعر عند المرزوقي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سعيدة، ص49.

[2] المرجع نفسه، ص50.

الشاعر، فقد عرف أن الأطلال وذكر النسيب أي المحبوبة من أهم الموضوعات التي دأب شعراء القصيدة الكلاسيكية على ذكرها، إضافة إلى الغرض الأساسي من القصيدة مثل: المدح أو الذم أو الهجاء، ومع ذلك لا يوجد انفصال بين الموضوعات فالنفس الشعري الكلاسيكي يربط بين الموضوعات بخيط واحد رغم تنوعها واختلافها.

– الابتعاد عن الأفكار التي تأخذ وقتا في الاستخراج والفهم، لأن الشعر هو بوح القلب والأحاسيس والمشاعر فلا تتناسب الألفاظ الغريبة والوحشية مع البوح الصادق والشفيف.

– البعد عن الألفاظ الغريبة غير المألوفة، وقد وضع هذا الشرط الأمدي وعلله بأن غرابة الألفاظ لا تتناسب مع السبك الجميلة.

– البعد عن التكلف والتعقيد والغموض، فقد عاب النقاد قصائد لشعراء حافظوا على خصائص الشعر العمودي كافة، ولكنهم غفلوا على أن تكون معانيهم واضحة وأغرقوا في الحوشي والغريب من الألفاظ.

– حسن الأسلوب وسلامة التأليف.

– الاهتمام بالصنعة بشرط أن لا تتجاوز الشائع وتكون مقبولة ولا تطغى على الألفاظ وتضيع المعاني والإحساس.

– الاهتمام بالمجاز والبلاغة بشرط أن تكون العلاقة واضحة بين المشبه والمشبه به ولا تصل إلى حدود الإبهام[1].

ونستخلص مما سبق أن:

- عمود الشعر ظهر أقدم مرة كعبارة عند أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري.

[1] غدير الخدام، خصاص عمود الشعر العربي 3,STOR.COM جويلية 2019.

- تناول هذه القضية العديد من النقاد القدامى أمثال (الجرجاني، المرزوقي، ابن قتيبة...).
- فالجرجاني يرى بأن عناصر عمود الشعر هي ستة عناصر والمتمثلة في:

شرف المعني وصحته، جزالة اللفظ واستقامته، إصابة الوصف، المقاربة في التشبيه، الغزارة في البديهة، كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة.

- أما المرزوقي فقد اعتمد على أربع عناصر من العناصر السابقة للجرجاني غير أنه أضاف من عنده ثلاثة عناصر.

نجمل عناصر عمود الشعر عند المرزوقي في:

شرف المعنى وصحته، جزالة اللفظ واستقامته، الإصابة في الوصف، المقاربة في التشبيه، وهذه الأربع عناصر الموجودة عند الجرجاني.

العناصر التي أضافها: (مناسبة المستعار منه والمستعار له، التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما).

وذهب ابن قتيبة ليرى بأن الشعر أربع أضرب: (ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه، ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه.

من أبرز خصائص عمود الشعر: الوحدة الموضوعية، الابتعاد عن الألفاظ الغريبة والبعد عن التكلف والغموض، حسن الأسلوب وسلامة التأليف، الاهتمام بالصنعة بشرط أن لا تتجاوز المألوف.